عبد القادر حجار

سياسة التعريب في الجزائر

ايها الاخوة ، ايتها الاخوات

انه لمن دواعي الغبطة والسرور ان نجد انفسنا في ديار ليبيا الشقيقة ، سعداء بهذا اللقاء العربي الذي اقامته حكومة ليبيا لدراسة هذا المشكل الذي يهم الامة العربية جمعاء ، منتهزين هذه الفرصة لنقدم شكرنا واعتزازنا لليبيا قيادة وشعبا ، راجين لها التقدم والازدهار . كما نشكرها على توجيه هذه الدعوة الى الجزائر التي ناضلت من اجل مشاكل التعريب وما زالت تناضل ، ولعل هذا المؤتمر الهام يفيدها ويساعدها على الخروج من وضعية تاريخية معروفة ، كما نرجو لهذا المؤتمر ان يساهم اسهاما فعالا في جعل اللغة العربية التي اصبحت احدى اللغات الست في المنظمات العالمية اداة فعالة في الانتاج الحضاري المعاصر .

ولن تكون هذه المشاركة ناجعة ومثمرة الا بما يبذله ابناء العربية من جهد متواصل وعمل علمي دائب حتى لا تبقى اعمالنا مقصورة على ترجمة المصطلحات الغربية بمثلية عربية بل لا نريد قناعة تدفعنا لدور الحاكي المقلد لما تنتجه افكار الاخرين ، واملنا كبير في ان يكون هذا المؤتمر والمؤتمرات السابقة واللاحقة والحلقات الدراسية التي ينظمها هذا البلد العربي او ذاك واعمال المجامع اللغوية والنشاط الذي تقوم به المنظمات العربية ، في ان يكون حثا على مواصلة الاعمال المثمرة وتكافلا ايجابيا بين هذه الجهود جميعا وطموحا نحو التنسيق البناء بين مختلف الانشطة العربية في هذا الميدان ضمانا لوحدة الفكر واللسان التي تكون بالضرورة ضمينا لتوحيد النظم والمجتمعات .

يجتمع اليوم هذا المؤتمر حول قضية التعريب التي تعيشها المجتمعات العربية بمستويات مختلفة وتشعر بها شعورا متفاوتا يتراوح بين حاجتها الى البسائط وحاجتها الى اعقد المصطلحات في مظان العلوم والتقنيات .

وضعية اللغة العربية في الجزائر في عهد الاحتلال :

ان الجزائر هي البلد العربي الوحيد الذي بلي باستعمار استيطاني حاقد هدف منذ تواجده فوق ارضنا لمقاومة شخصيتنا وتقاليدنا وثقافتنا العربية الاسلامية مستعملا لذلك كل وسائل الاذابة والاستئصال ، ولن احدثكم عن ميادين استغلاله الاخرى كنهب خيرات الارض وثرواتها وتشريد شعب من اراضيه الخصبة الى خنادق الجبال ومفاوز الصحاري ، ولا عن تحويله مساجدنا ، شعار العقيدة ، الى كنائس لرهبانه وثكنات لمرتزقته بل اقتصر على مسنوناته التشريعية التي جعلها قيودا على تعليم اللغة العربية في الجزائر ومنع بها المعلمين من تعاطي هذه المهنة الا برخص مشروطة بضوابط منها :

١ ـ اقتصار التعليم على حفظ القرآن لا غير .

٢ ـ عدم التعرض لتفسير الايات التي تدعو الى التحرر من الظلم والاستعباد .

٣ ـ استبعاد دراسة التاريخ العربي الاسلامي والتاريخ المحلي وجغرافية القطر الجزائري والاقطار العربية الاخرى الخ ..

٤ ـ استبعاد دراسة الادب العربي بجميع فنونه .

ولا شك انكم تتصورون ابعاد هذه العملية التي انطلق فيها الاستعمار ليحول شعبنا عن تاريخه واصالته ، ولتحقيق هذه العملية جندت فرنسا كافة اجهزتها المتعددة من رجال القمع والارهاب من جهة ، ورجال البحث والاستشراق من جهة اخرى لتوصد بذلك الابواب امام الشعب الجزائري حتى يحرم من تعلم لغته ، وقامت في نفس الوقت بخلق الجو الملائم لذلك ففرنست الادارة والاقتصاد ووسائل الاعلام كما فرنست كل مستويات التعليم الذي خصت به طائفة من ابناء المعمرين وابناء الدائرين في فلكها من عملاء الاستعمار .

ولم يكن للشعب الجزائري بد من المقاومة للحفاظ على رمز شخصيته العربية الاسلامية المتمثلة في عقيدة الايمان وعروبة اللسان ، وناضل من اجل ذلك نضالا قاسيا ، فسنت لمعلمي لغة الضاد قوانين النفي والتشريد وتشريعات التغريم والتجريم ، ومع كل هذه الوسائل القهرية فان الكتاتيب القرآنية والزوايا الطرقية كانت هي الملاذ الوحيد الذي حافظ على عروبتنا واسلامنا بطرق تكاد تكون بدائية حتى فيض الله لشعبنا رجالا نهضوا للاصلاح والسياسة ، ففتحوا المدارس العربية في ارجاء البلاد لتعليم لغتنا وبعض المبادىء العلمية ، وجعلوا شعارهم (العربية لغتنا ، والاسلام ديننا ، والجزائر وطننا) وسارت السياسة التي انتهجتها الحركات الوطنية مع التعليم المستثير جنبا الى جنب ، ، لشحذ الهمم ، وتربية الناشئة على القواعد الوطنية الصحيحة ، واعداد الامة ليوم النهوض

الجبار ، يوم فاتح نوفمبر الذي خط في الازل ليكون يوم تحرير القطار كبيرة كانت ترزح تحت نير الاستعمار منها قطرنا ، ولم تكن السياسة انذاك سهلة الممارسة والانتماء لحركاتها ولا التعليم العربي ميسرا لاعتناقه والانضواء تحت شعاره ،بل كلاهما السياسة والتعليم ،جحيما يتلظى هشيمه من مهج الضحايا ، وبقاؤه لهيبا قدمنا له من خيرات شبابنا الاف الشهداء .

وجاءت ثورة التحرير المباركة لتدك قلاع الظلم وتسترجع للجزائر كل مقوماتها بما فيها اللغة ، ولم تكن المعركة سهلة بل كان وقودها ضريبة دم باهظة قدمنا مليونا ونصفا من الشهداء وقرابة مليون من الارامل والايتام ، ومئات الالاف من المساجين ومعطوبي الحرب ، وزهاء مليونين من المشردين والمهاجرين .

استقلال الجزائر وقضية التعريب ضمن المشاكل الوطنية المستعجلة :

استقلت البلاد على هذه التركة الثقيلة من فقر ومرض وجهل وكان من اولويات الاستقلال ذلك العمل الجبار والجهد المضني لتوفير لقمة العيش للمواطنين وايجاد حقنة الدواء للمرضى والمعطوبين ، وبناء الدور لايواء المنكوبين والمشردين .

ولم يكن هذا بالسهل الليين على دولة بدأت من الصفر وجدت دواليب الادارة انقاضا متهالكة بعدما عاثت فيها ايدي منظمات الارهاب وغلاة المعمرين بالتخريب وكان البالغون سن الدراسة لم يجدوا مقعدا في المدارس الموجودة انذاك بعد هجرة المعلمين الفرنسيين الى بلادهم .

اسمحوا لي اذا ذكرت لكم هذا فهو من الاساسيات التي لا يمكن فهم مشاكل التعريب في الجزائر الا بوضعه في هذا الاطار الذي جعل الجزائر تواجه ظروفا قاسية وتفرض عليها اولويات ملحة حصرت اهتمامها في عناصر رئيسية ثلاثة اطلق عليها فعلا وعملا لا اصطلاحا ولغة اسم الثورات الثلاث : الصناعية والزراعية والثقافية . وفي اعتقاد الجزائر ان قضية التعريب يجب الا ينظر اليها كقضية مفصولة عن القضايا الوطنية الاخرى بل هي المتفاعلة معها بالسلب او الايجاب ، وهي حلقة من حلقات السلسلة التي تركها الاستعمار في لساننا فرنسة ، وفي افكارنا جهلا ، وفي بطوننا جوعا ،وفي اجسادنا عاهات ، وفي نفوسنا عقدا وأمراضا . ولا يكون انخلاص حقيقيا الا اذا فككنا كل هذه القيود الموروثة وانطلقنا احرارا نبني ونشيد ، وبهذه النظرة المحددة للاولويات ، انطلقنا في ثورة صناعية ترسي صناعة ثقيلة في البلاد ، وتؤمم الثروات المنجمية وقطاع المحروقات وتسيطر على الوسائل المالية وتحتكر التجارة الخارجية وتخطط لكل مرافق الحياة من اجل بناء هياكل الاقتصاد الاشتراكي حتى تواكب الدول الصناعية في العلوم والتقنيات . وانطلقت بعد ذلك الثورة الزراعية لتسترجع الاراضي التي بيد المعمرين وتحدد الملكية الكبيرة وهي تهدف لتطوير الريف الجزائري وتصنيعه وتحويل المواطنين من عيشة بدو تعتمد الوسائل البدائية الى عصريين متمدنين يشاركون سكان المدينة مدنيتهم وتقدمهم تجاوزا للمقولة المعروفة : الارض لمن يفلحها ، ببناء الف قرية نموذجية مزودة بمرافق الحياة العصرية من انارة وماء وطرق ومستشفيات ومدارس وما الى ذلك ، وكللت هذه العملية بالنجاح في المرحلتين الاولى والثانية وستنطلق المرحلة الثالثة في القريب العاجل بعدما وفرت لها كل اسباب النجاح .

وموازاة لهذا كانت قيادة الثورة ترسي هياكل الدولة الحديثة بانشاء المجالس الشعبية للبلديات والولايات ومجالس العمال وسياسة التوازن الجهوي وتحقيق البرامج الخاصة والمخططات الانمائية التي حولت الجزائر الى ورشة كبيرة للعمل والبناء.

وبجانب الثورتين الصناعية والزراعية وتشييد هياكل الدولة العصرية لم تكن الثورة الثالثة وهي ثورة الفكر والسلوك اقل كلفة وعناء ومشقة من مثيلتيها وخاصة وهي تختلف عنهما من حيث طبيعة النشاط الذي يوجه الى افكار الناس وسلوكهم وطرائق حياتهم التي شبوا عليها . وهي تهدف بالدرجة الاولى الى المحافظة على اصالتنا المتفتحة بكل مقوماتها من عقيدة ولغة وتاريخ وتراث الحضارة العربية الاسلامية في كل مجالاته ، وان اللغة في الثورة الثقافية هي حجر الزاوية لانها لا تقتصر في تعابيرها عن بوارق الفكر وخوالج العواطف ، بل ينبغي ان تكون المعبر الاساسي والوحيد عن كل نشاطاتنا الوطنية بما فيها من صناعة وزراعة وثقافة، وهي فوق ذلك رباط قوي يجمع بين افراد الشعب الجزائري ويربط بين افراد الامة العربية في كل اقطارها ويصل امجاد العرب وحضارتهم بحاضرهم ويتوق مع تطلعاتهم لصنع امة قوية تفرض هيبتها ووقارها في هذا العالم الذي يتبنى سياسة الاحلاف والتكتلات .

التعريب احد مبادىء التعليم في الجزائر :

لم تطرح قضية التعريب علينا طرح المبدأ والخيار ، ولكن طرحت علينا من حيث الطرق والمناهج ومن حيث الامكانيات البشرية والمادية، وهي في وضعنا ليست قضية فنية تقنية تحصر في الطريقة والمنهاج بل هي ايضا قضية سياسية وهدف استراتيجي بالنسبة الى الثورة ومطلب جماهيري تتطلع اليه كل فئات الشعب .

واكثر المجالات التي واجهنا فيها قضية التعريب بحدة هي مجالات التعليم والاعلام والادارة والاقتصاد ولعل التعليم هو الميدان الحيوي لعملية التعريب ، وقبل الحديث عن الاشواط التي قطعناها في ميدان التعريب فلا بد من ذكر بعض الصعوبات التي واجهت المدرسة الجزائرية الفتية التي اسست على مبادىء اربعة هي كالاتي :

١ ـ ديمقراطية التعليم : هدفنا من وراءه الى اعطاء فرص متكافئة لكل الاطفال مهما كانت مكانة الاسرة الاجتماعية لنقضي بذلك على الانحياز الذي كانت تباشره فرنسا بفتح ابواب المدرسة لابناء المعمرين والدائرين في فلكها من الجزائريين .

٢ جزأرة الاطارات : اذ تبين لنا بان التعاون الفني سواء مع الدول الصديقة والشقيقة أو مع الدول الغربية لا يمكن ان يحقق لنا كل اهدافنا ومع اعترافنا بحسن الصنيع للذين امدونا بالكفاءات والخبرات وغالبا ما كانت على حساب شعوبهم ومجتمعاتهم وخطط التنمية لديهم فان حاجياتنا تتزايد باستمرار من معلمين ومديرين ومرشدين تربويين ومفتشين وبيدغوجيين ومتخصصين في البرامج والطرق ومؤلفين للكتب المدرسية .

٣ ـ التعريب والمحتوى العلمي والتقني للتعليم : ان الجامعات الجزائرية باعتمادها مبدأ التركيز على العلوم والتقنيات يراد من ذلك انفتاح الجامعة على المجتمع في كل تفاعلاته وتحولاته والتخلي تدريجيا عن التعليم النظري البحت وخاصة وعدد الطلاب كان لا يزيد عن الالف غداة الاستقلال وقد أرتفع هذا الرقم في افتتاح الموسم الجامعي الحالي ٧٤ ـ ٧٥ الى سبعة وثلاثين الفا وسيرتفع حسب تقديرات وزارة التعليم العالي الى مائة الف في سنة ١٩٨٠ وذلك ما يتطلب جيشا من الاساتذة والمدرسين قوامه ثمانية الاف واكثر من ثلاثة ارباعه يكون

متخصصا في المواد التقنية والعلمية ، فمن هي الدولة العربية التي يتوفر لديها هذا العدد الكافي من الاطارات لسد حاجيات الجزائر بالاضافة الى حاجياتها ؟

وقد اثبتت التجربة حتى الان عندما اقدمت الجزائر على تعريب ثلث التعليم الاعدادي والثانوي بان ما نحصل عليه من مدرسي العلوم بواسطة التعاون العربي لم يستطع ان يسد اكثر من ثلث التعليم في المرحلتين المتوسطة والثانوية .

٤ ـ التعريب : وقبل الدخول في التفاصيل عن التعريب في التعليم ادلل برقمين لتسهيل المقارنة بين ما كان عليه التعليم انذاك وما هو عليه الان . لقد كان عدد التلاميذ الذين دخلوا المدرسة في اخر عام الوجود الفرنسي في الجزائر ومع اساليب المراوغة والاغراء واستعمال المشاريع الاجتماعية الضخمة كمناورة يراد من ورائها ضرب الثورة المسلحة والتي اراد ان يشتري بها الاستعمار ضمائر الجزائريين باسكانهم العمارات واعطائهم الوظائف وادخال اطفالهم الى المدارس ورغم امكانياته الكبيرة فلم يتجاوز عدد التلاميذ الجزائريين ٤٠٠٠٠٠ وبلغ عدد التلاميذ في الموسم الدراسي الحالي ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ثلاثة ملايين يتلقون جل تعليمهم بالعربية ؟ وبعد معرفة هذا الرقم يمكن لي الان ان احدثكم عن الصعوبات النوعية التي واجهها التعريب في التعليم فهي بالاضافة الى بناء المدارس في مختلف ارجاء القطر بمعدل ٦٠٠٠ قسم سنويا واهمال الحديث عن بعض الصعوبات العارضة والطارئة والثانوية فان الاساسية منها نوعان: معلم وكتاب .

التعريب والمعلم ومواد البرنامج :

لنبدأ الحديث الان عن المعلم فان احصاءات وزارة التربية تبين بان عدد المعلمين بالعربية الذين وظفوا لمجابهة الموسم الدراسي الاول الذي ادخلت فيه حصص العربية بمعدل سبع ساعات في الاسبوع كان ٣٤٥٢ معلما بالعربية ، هذا من حيث الكم ، اما من حيث الكيف فان الغالبية منهم تلقت تعليمها بطرق عتيقة . اما في الكتاتيب القرآنية او زوايا الطرقية او في مدارس الاصلاح والحركة الوطنية وقليل منهم من تخرج من الزيتونة او القرويين والقليل القليل من الجامعات العربية ، وهذا التباين في منابع المعرفة لم يكن بالميسور التغلب على نتائجه وتحويل هذا العدد الى اطارات كفاة تستوعب مستحدثات العلوم التربوية والنفسية وتسيطر على تعقيدات المدرسة العصرية خاصة والعربية ليست وحدها في ميدان التدريس بل لها مزاحمة قوية تريد قهرها عن طريق المقارنة بين رجال هذه وتلك رجال تخرجوا من الكتاتيب القرآنية في مواجهة خريجي الجامعات الفرنسية والغربية والصف واحد والتلميذ هو هو وحكم التلاميذ على المعلمين هو اقسى حكم يوجه لرجال التعليم واثار فرنسا لم تزل انذاك قوية في حياتنا الثقافية والمدرسية وغريزة اقتداء المغلوبين بالغالبين سنة طبيعية . والانعكاسات التي تحدثها هذه المقابلة معادلة دقيقة ، كم خشينا ان تحقق للمستعمر كسبا يظهر العربية بمظهر العجز والتقصير ويظهر الفرنسية بمظهر القادرة على مواكبة العصر وحدها في ميدان العلم والتقنيات .

وتفاديا لذلك وتفطنا لهذه الاحابيل جندت قيادة الثورة كل طاقاتها ورصدت اموالا طائلة لذلك وكثفت جهدا طويلا وعسيرا لتكوين المعربين تكوينا علميا وعصريا ، نفسيا وبيداغوجيا لتقضي على جوانب النقص ، سواء في الثقافة العامة او في فنيات المهنة ، وكان يمكن التغلب على القضية في وقت قصير لو بقي عدد المعلمين هو هو وحصص العربية هي هي وعدد التلاميذ لم يرتفع بالملايين .

فعدد المعلمين تجاوز ٤٠٠٠٠ في التعليم الابتدائي وحده في بداية الموسم الدراسي الحالي ، والعربية توسعت لتشمل اغلب المواد في كل مستويات التعليم وخاصة تعريب المواد التي كان لها مساس بشعورنا كشعب له عراقة في الحضارة والتاريخ ولارتباطها ايضا بالارض والماضي والتفكير ، فليس مقبولا او معقولا ان يتلقى تلامذة الاستقلال دروس الجغرافيا التي طالما طبلت ابواق فرنسا ودعايتها ولاكثر من قرن وثلث بان الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا ، وليس مقبولا او معقولا ان يتلقى تلامذة الاستقلال دروس التاريخ بلغة طالما عملت على تشويهه وتحريفه ولطالما علم اساتذة فرنسا اطفالنا فيما مضى باننا شعب بدائي ليس له تراث او حضارة وكم صوروا ثوراتنا المتعاقبة في مقاومة الاستعمار بانها تمرد وعصيان ، فليس من المعقول ان يبقى تاريخنا وهو حلقة الوصل الذهبية بيننا وبين اشقائنا فوق هذه الرقعة العربية متواصلا تدريسه بلغة اجنبية ، وذلك ما دفعنا لتعريبه من اول درس في الابتدائي حتى اعلى شهادة في الجامعة .

وليس مقبولا ولا معقولا ان تبقى دروس الفلسفة تلقى على اطفالنا وهم في سن المراهقة ، وهي حالة استعداد قصوى لتقبل كل ما هو شاذ وغريب ومخالف للمألوف ومساعد على المرد والمروق لغة فرنسية ومن طرف اساتذة فرنسيين او متفرنسين ، وهم مدارس فكرية وايديولوجية متباينة ومتناقضة ، فلم يكن امامنا طريق اخر الا تعريب هذه المادة .

ومن خلال عملية ممارسة التعريب تنبهنا بان تعريب المواد الاجتماعية وحدها يسيء الى قضية التعريب اذ يبعد عن ميدان العلوم والرياضيات وذلك ما حدا بنا الى تعريب ثلث الاقسام العلمية التي كانت النواة الاولى لتعريب قسم العلوم الصحيحة بالجامعة واحتفلنا بتخرج اول فوج من حملة شهادة اللسانس في العلوم الصحيحة بالعربية في نهاية الموسم الماضي ، وقصدنا بذلك تخريج طلاب مزودين بكفاءات علمية بلغتهم ، اصلا ، متشبعين بقيم الامة واخلاقها ، عصريين متفتحين لاخذ منتجات الفكر الحديث بايجابية ، وهم القوة الفاعلة في تعريب البلاد تعريبا شاملا في كل مناحي حياتها وخاصة وان الطلاب الدارسين بالعربية في الجامعات الجزائرية تجاوز عددهم العشرة الاف ، وان المترشحين لامتحان البكالوريا المعربة في الموسم الحالي تبلغ نسبتهم ٦٥ بالمئة من مجموع الطلاب المترشحين لهذا الامتحان على مستوى القطر كله ، وهذا ما يغير هياكل الجامعة رأسا على عقب ، ويدفعها لتعريب نفسها في اجل قريب ، كما تعجل بتعريب الوظائف في مختلف دواليب الدولة .

التعريب والكتاب المدرسي :

ولم تتوقف صعوبة التعريب عند المعلم وكفاءاته ونوعيته وعدده بل وجدنا انفسنا منذ البداية امام الطرف الثاني في قضية التعريب، وهو الكتاب المدرسي والكتاب المدرسي يشكو ضعفا في مستواه الثقافي ومحتواه العلمي لدى جميع الشعوب العربية ، والدراسات التي قام المكتب الدائم للتعريب بالرباط بمقارنة مجموعة من الكتب المدرسية العربية بمجموعة اخرى من الكتب المدرسية العربية تبين بان المفاهيم التي يتعلمها الطفل العربي عن طريق الكتاب المدرسي لا تتجاوز ٤٠ بالمئة مما يتعلمه نظيره باوروبا ، والجزائر لم يكن لها غداة الاستقلال اي كتاب مدرسي لسد حاجياتها حيث انهالت على السوق الجزائرية مجموعة من الكتب التجارية الرخيصة فكانت من اسوا العوامل تاثيرا على التعريب ، وعن طريق المقارنة يرى الطفل الجزائري ان كتابه المدرسي باللغة الفرنسية انيق في طبعه ، جميل في صوره ، واضح في اسلوبه ، مفيد بتعاريفه ، ويرى كتابه المدرسي العربي فيجد فيه ركاكة الاسلوب ، وقبح المنظر ، ورداءة الطبع،

وعمدت الجزائر الى القضاء على هذا الخطر الداهم بتاسيس معهد وطني لتاليف الكتب والمذكرات المدرسية ، وبجهد مضن وقاس استطاعت الجزائر ان تغطي كل حاجياتها في مجال الكتاب المدرسي ولمختلف المواد اللغوية والاجتماعية والعلمية .

واذا كنا وفرنا كمية الكتاب اللازمة واصبح التلميذ الجزائري يجد كتابه المدرسي في اي مادةمن مواد المنهاج ، واذا تغلبنا على مشكلة الكم ، فالاعمال الان جارية على قدم وساق لادخال اصلاحات جذرية على مضمون هذا الكتاب وطريقته من حيث الكيف ليتماشى مع اصلاح التعليم الجديد الذي يعتبر ثورة جذرية في ميدان التعليم، والذي نطلق عليه اصطلاحا اسم المدرسة الاساسية لتسع سنوات ، ذات التعليم المتعدد التقنيات ، والتي تمتد لافاق « ١٩٨٥ » حيث يكون مجال تطبيقها جيلا دراسيا كاملا والتي انطلقنا فيها بدءا من هذه السنة الدراسية ٧٤ ـ ٧٥ وهذا مشروع ضخم لتعريب التعليم نهائيا وذو محتوى علمي وتقني .

وتدعيما لذلك انشات وزارة التعليم الابتدائي والثانوي مركزا وطنيا لمحو الامية باللغة العربية شمل قطاعات كبيرة من عمال حرفيين وزراعيين وفلاحين ، كما اسست الوزارة مركزا وطنيا لتعميم التعليم مهمته مساعدة الذين انقطعوا عن الدراسة لاسباب مختلفة حتى يواصلوا تعليمهم عن طريق المراسلة من الشهادة الابتدائية حتى البكالوريا ، تساعدهم في ذلك شاشة التلفزة والاذاعة الوطنية على تقديم دروس بالعربية في مختلف المواد العلمية والادبية التي يشملها المنهاج الدراسي .

كما انشات الوزارة وبدءا من المخطط الرباعي الاول معاهد تكنولوجية في مختلف الولايات لتخريج المعلمين باللغة العربية وحدها للمرحلة الابتدائية ،وهي قادمة على تعريب المعاهد التكنولوجية الخاصة بتخريج مدرسي المرحلة الاعدادية بدءا من الموسم الدراسي ٧٦ ـ ٧٧ والتي ما زالت تخرج الان مدرسين بالعربية وبالفرنسية ..

التعريب والجامعة :

اشير اشارات عابرة لخطوات التعريب في التعليم العالي دون ان ادخل في التفاصيل والصعوبات التي اعترضت الجامعة من حيث الاساتذة والبرامج والكتب العلمية .

اقول فقط بان كليات الاداب عربت تعريبا كاملا بكل فروعها من تاريخ وجغرافيا وفلسفة ولغة عربية وعلم نفس وعلم اجتماع وعلوم التربية ، هذه المواد تدرس كلها باللغة العربية ولم تبق الفرنسية الا كلغة اجنبية يتلقاها المعربون تزويدا لمعارفهم من بين اللغات الاخرى واصبحت فرعا يعطي شهادة الليسانس في الاداب الفرنسية محصورا ضمن دائرة اللغات الحية ، وعربت من جهة اخرى ليسانس حقوق وصحافة وترجمة ، كما فتحت اقسام معربة في العلوم الصحيحة والاقتصاد والعلوم السياسية .وفرض على باقي الاقسام المفرنسة في مختلف الكليات مستوى بالعربية يمتحن فيه الطالب ويحرم من اخذ الشهادة العلمية الا بعد نجاحه في امتحان العربية .

وقد اقدمت الجامعة بدءا من هذا الموسم الدراسي على تعريب وحدات من البرامج التي كانت تدرس بالفرنسية ويكون قد درس ما يقارب من ثلث المواد المقررة في الشهادة بالفرنسية .

والتعليم العالي مشروع ذو مراحل للتعريب الشامل لمختلف الكليات والمعاهد العليا بما فيها الصيدلة والطب ينتهي حسب تقديرات الوزارة في حدود ١٩٨٥ .

التعريب ووزارة التعليم الاصلي والشئون الدينية :

هناك مجهود تعليمي اخر قامت به وزارة التعليم الاصلي والشئون الدينية حيث انشات معاهد ثانوية في مختلف ولايات القطر تعتمد نفس المنهاج الدراسي الذي اقرته وزارة التعليم الابتدائي والثانوي تضاف اليه معلومات في الشريعة الاسلامية ، وشهاداتها معترف بها رسميا كشهادات التعليم العام ، وكانت اعمال هذه الوزارة رائدا قويا من روافد التعريب حيث وفرت الدراسة في معاهدها لثلاثة وعشرين الف طالب في الثانوي يتلقون دروسهم بالعربية في كل مواد البرنامج ، ويتعلمون لغات حية اخرى ، من بينها الفرنسية في فروع التعليم الثانوي الثلاثة : الادبي والعلمي والرياضي .

كما اقدمت على تجربة فريدة في الجزائر وهي تعريب المعاملات الادارية في كل مصالحها وتعاملها مع غيرها من الوزارات تعريبا كاملا ، ولم يبق الا تعاملها مع المالية ما زال باللغتين نصها الاصلي بالعربية والنص الفرنسي خلاصة وترجمة .

وزيادة على ذلك احيت سنة اصلية وهي تعليم العربية بكل مساجد الجمهورية ، وارجعت للمسجد دوره من التعليم والتثقيف مثلما كان بالامس في عهودنا الزاهرة مركز اشعاع حضاري يقوم بدور المدرسة والجامعة ، وافادت هذه التجربة فائدة عظمى بتعريبها افواجا كبيرة تعد بالالاف حصلت على الشهادة الابتدائية باللغة الوطنية .

التعريب ووسائل الاعلام الوطنية :

أنتقل بكم الان الى ميدان اخر من ميادين التعريب وهو بمثابة السلاح الفتاك ذي الحدين ، يفيدنا في شن الحرب على مخلفات الاستعمار ، ويضرنا ان نحن اسأنا استعماله ادنى اساءة ، هذا السلاح هو الاعلام مقروءا ومسموعا ومنظورا ، ولابدا بالحديث عن تعريب شاشة التلفزة لما لها من قوة تاثير على الناس بالحركة والصورة والكلمة ووجودها في عصرنا الحاضر ضرورة حتمية ، ولها منافع ومآثر ولاستغلالها استغلالا نافعا انتهجنا سياسة تجعلنا متفتحين لا منفتحين ، آخذين من وسائل الحضارة ما يساعدنا على الرقي والازدهار ، متجنبين كل عوامل الهدم للقيم الانسانية والاخلاقية ، ومع ذلك وجدنا انفسنا امام مشكلة ذات شقين ، حوار الفيلم الناطق بلغة اجنبية ومحتواه الذي يخالف قيمنا واعرافنا العربية الاسلامية واتجاهنا الاشتراكي ولا ملجا لنا الا الانتاج العربي في ميدان السينما والتلفزة ، وكانت الصدمة حادة آذ وجدنا اغلب الافلام العربية ناطقا بلهجات محلية ومتفاوتا تفاوتا مخلا ومضرا في محتواه السياسي والاجتماعي وابقينا رغم مرارة هذا الواقع على المسلسلات اللبنانية الناطقة بالفصحى ، مضحين بالمحتوى من اجل نشر اللغة العربية في البيت والشارع تدعيما للزاد الذي يتلقاه اطفالنا في المدارس وما زلنا نعتمد على المسلسلات المصرية رغم طابعها المحلي ولهجتها العامية ،وكم نتمنى في الجزائر ان ينتبه المخرجون وكتاب السيناريو والمؤلفون العرب للغة الفيلم التي ينبغي ان تكون عربية فصيحة ولمحتواه الذي ينبغي ان يكون معبرا عن تطلعات الجماهير العربية .

كما قامت التلفزة الوطنية بتعريب البلاغات والتقديمات

والتحقيقات الصحفية وتعريب الرياضة بكل انواعها سواء كانت مباريات وطنية او دولية ، على اهتمام الجمهور في عصرنا الحاضر بشكل واضح ، وساعدت حصة الحديقة الساحرة المتلفزة المخصصة لاطفالنا الصغار على نشر اللغة العربية بالتمثيليات والاناشيد الوطنية والاغاني العربية ، ويقدم القسم المدرسي بالتلفزة دروسا لتعليم الكبار واخرى مساعدة لطلاب الثانويات في مختلف المواد العلمية والادبية التي يتضمنها المنهاج الدراسي باللغة العربية .

وتبث الاذاعة الوطنية مختلف برامجها بما فيها الدروس المخصصة للتعليم باللغة الوطنية .

اما الصحافة المكتوبة فلم تكن الا جريدة المجاهد التي واكبت حرب التحرير ناطقة بالعربية ، وانطلقت مع الاستقلال جريدة الشعب اليومية وعربت بعدها جريدة النصر وهناك مشروع لتعريب جريدة الجمهورية الصادرة بغرب البلاد .

اما المجلات الاسبوعية او الشهرية والتي انطلقت كلها بعد الاستقلال ما عدا المجاهد فاذكرها باسمائها دون الرجوع الى الهيئات التابعة لها ، وهي المجاهد الاسبوعية ، الجيش ـ الشباب ـ الجزائرية ـ الثورة والعمل ـ اول نوفمبر ـ الاصالة ـ الثقافة ـ آمال ـ الاثير ـ الوان ـ ونشريات دورية اخرى تمس كل قطاعات الحياة الوطنية وكلها ناطقة بالعربية وهي تساوق مراحل الثورة وتعكس التحولات العميقة التي عرفتها الجزائر منذ الاستقلال حتى الان تشارك الصحف الناطقة بالفرنسية في حمية التعريب .

واعفي نفسي واعفيكم من الدخول في مشكل الكتاب العربي وسوقه وتسويقه ونوعه فتلك مشكلة اخرى تحتاج بدورها لمحاضرة كاملة .

التعريب وجهاز القضاء :

وهيا بنا لتجربة اخرى من تجارب التعريب في الجزائر وهي تعريب جهاز القضاء تعريبا كاملا حيث اصبح التقاضي بين المواطنين لا يسير الا باللغة الوطنية في كل محاكم القطر ، ولا يخفي عليكم ان قضية العدالة بالنسبة الى كل دولة مستقلة هي قضية تمس سيادة الوطن ، ولذلك وجب الا تبقى لغة القاضي هي لغة المستعمر التي استعملها بالامس لاضطهاد شعبنا وسن بها قوانين تحجير املاكه واراضيه واوامر تقتيله وتحريقه ، وعليه فان هذه الوضعية في جزائر الاستقلال مرفوضة بشقيها : مضمون قانون المستعمر ولغته ، وعشنا اياما مرغمين فيها بضرورة الظرف نرى الفلاح المتقاضي يدور حوار حول قضيته بين قاضيه ومحاميه بلغة لا يفهمها وقد استنكر هذه الوضعية الشاذة الاخ ـ الرئيس هواري بومدين ، رئيس مجلس الثورة ورئيس مجلس الوزراء في افتتاح السنة القضائية بتاريخ ٢٣ اكتوبر ١٩٦٩ اذ قال من كلام طويل حول التعريب ما نصه : « وبما ان القضاء في مستوى الشعب لا بد ان يكون بلغة الشعب ». وانطلقت وزارة العدل في تجربة رائدة في تعريب جهاز القضاء بصلابة وعزيمة قوية اتخذت فيها الوزارة قوانين زجر قاسية لكل من يحاول عرقلة التعريب في هذا الجهاز ، وكان النجاح من حيث لغة التقاضي . اما من حيث مضمونه فقد انشئت لجنة وطنية للتشريع مهمتها وضع تشريع جزائري يعتمد شريعتنا الاسلامية وتجربتنا النضالية وسيفرغ من اعداده قبل شهر يوليو ١٩٧٥ ، ويترأس هذه اللجنة الاخ ـ الرئيس هواري بومدين نفسه وينوبه فيها وزير العدل وحافظ الاختام ، وقد نجحت هذه التجربة نجاحا باهرا في مدة قصيرة .

التعريب والجهاز الاداري للدولة :

تعزيزا لهذه المجهودات المبذولة في تعريب التعليم والاعلام والعدالة صدر المرسوم الرئاسي في ٢٦ ابريل ١٩٦٨ القاضي بوجوب معرفة اللغة الوطنية من طرف كل الموظفين العاملين باجهزة الدولة وقطاعات الاقتصاد ، والهادف الى توفير الشروط الموضوعية للتعريب والمجبر كل موظف مهما كانت رتبته الادارية او السياسية على معرفة حد ادنى من اللغة العربية ، واصبح النجاح في مستويات اللغة الوطنية شرطا للترقية والتوظيف في مختلف المناصب الحكومية ، وجمدت ملفات الموظفين الذين لم ينجحوا في امتحانات اثبات المستوى ، وانطلقت هذه العملية لتعريب الموظفين على مستوى كل الوزارات والولايات، وخصصت مختلف المؤسسات حصصا من ميزانيتها لتغطية عملية التعريب بتوظيف المعلمين والاساتذة وانشاء مكاتب التعريب للمراقبة والتسيير ، ورغم صعوبة التطبيق فان النتائج الاولية تبشر بخير حيث جعلت الكثير من الموظفين والمسؤولين السياسيين الذين كانوا لا يحسنون الا الفرنسية يقرأون ويكتبون ويتعاملون باللغة العربية .

وكما ترون ان التعريب صعب لجهاز اداري كامل بكل تعقيداته الادارية والفنية ومصطلحاته العلمية والفنية ، ومع قلة الاطارات المعربة عندنا والمتخصصة في ميادين الادارة والاقتصاد ، وقلة الوسائل المادية المساعدة من كتب وصحف ومجلات متخصصة لدينا في علوم الادارة والتسيير ، وصعوبات اخرى موضوعية ترجع لطبيعة بعض الاعمال الادارية التي تجعل من تفرغ الموظفين لحصص العربية ضررا لسير المصلحة نفسها كالعاملين في البرق والهاتف والممرضين واطباء الدوريات ورجال الامن والجيش والحماية المدنية وغيرهم من المصالح ذات الصبغة الاستعجالية . هذا بالنسبة الى الموظفين ،اما بالنسبة الى المسؤولين فالسفارات والبعثات الرسمية والاجتماعات المتتالية ومقابلة الوفود تحول دون ذلك بالاضافة الى مشكلة التوقيت والكتاب المدرسي العادي ووجود المعلم وقاعات الدرس حيث تحولت كل مؤسساتنا الى مدارس لتعليم العربية . كل هذه المشاكل جعلت المسيرة التي انطلقنا فيها لم تؤت اكلها كما كنا نتوقع في الوقت الموعود .

التعريب وبعض النتائج الاولية للادارات :

ولا بأس بذكر بعض النتائج الاولية التي تحصلت عليها بعض الوزارات ، فوزارة المالية قامت بتعريب القواميس المالية والاقتصادية وتكوين مفتشين ومسؤولين ومراقبين في المالية مباشرة باللغة العربية ، بالاضافة الى تعليم اللغة لجميع الموظفين . ووزارة الدفاع مثلا عربت مديرية التدريب على مختلف الاسلحة تعريبا كاملا وعربت اغلب المدارس العسكرية التابعة لها ، وقد نال الشهادة الابتدائية بالعربية من جنود الجيش الوطني الشعبي ٣٦٨٢ جنديا في السنة الدراسية ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ ، كما زاول ثمانية وعشرون الفا في العام الدراسي ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ . دروس العربية من جنود وموظفي وزارة الدفاع في مختلف المستويات .

كما قامت وزارة البريد والمواصلات بتعريب كل الوثائق الخاصة بالحوالات والصكوك والبرق وهي مقبلة على تعريب جهاز الموظفين بتوظيف المعربين مباشرة وتخصيص علاوات مالية للمفرنسين الذين يبذلون جهدا في تعريب انفسهم حتى يتحولوا الى العمل بالعربية.

وتقوم وزارة الصناعة بجهد حثيث لتعريب الشركات الوطنية وخاصة ما توصلت اليه شركة « سوناتراك » من توفير المعلمين لتعليم

اللغة العربية لخمسة واربعين الفا من الموظفين كما الفت كتبا خاصة بها ومعاجم باللغتين تدور مصطلحاتها حول البترول ومشتقاته.

واصبحت وزارات التعليم والشبيبة والاعلام تستعمل اللغتين في اغلب اعمالها نتيجة لهذه الحملة في تعريب الموظفين ، وتسير باقي الوزارات والمؤسسات في نفس الطريق لتعريب مصالحها وموظفيها .

وبما ان اللغة العربية لم تحتل كافة القطاعات الوطنية فان النتائج التي توصلنا اليها رغم انها مشجعة وايجابية اذا قيست بظرفها الزمني وبالمشاكل الاخرى التي يعيشها المجتمع الجزائري والتي تزاحمها وتنافسها في طلب الحلول المستعجلة فان قضية التعريب اصبحت تحتل مكان الصدارة في جدول اعمالنا السياسي.

التعريب والحزب :

ضمانا لهذه النتائج الايجابية أحدثكم الان عن نشاط مكثف علمي وسياسي تقوم به نخبة من المثقفين الثوريين الملتزمين بالدفاع عن القضايا الوطنية كلها معربين ومفرنسين ، وتحت اشراف وسهر حزب جبهة التحرير الوطني ، اطار الشرعية في السياسة والتوجيه والذي يضع هذه القضية من اول اهتماماته الوطنية لانه الاطار السياسي الوحيد القادر على تنسيق هذه الجهود المبذولة في مختلف الوزارات ، ولكونه محل ثقة الجماهير المتفاعلة في خلاياه ومنظماته من عمال وفلاحين ومثقفين ثوريين ، وهو طليعة الكفاح الثوري الذي قاد البلاد الى الحرية والاستقلال ، وهو الدرع الواقي لها من كل المخططات الهدامة والاطماع ، وهو الحارس المستيقظ للدفاع عن خيارات البلاد الاساسية التي منها استرجاع لغة الوطن.

التعريب وبرنامج اللجنة الوطنية للتعريب :

انطلق الحزب من هذا الفهم الواعي للقضية وضمن هذا الاطار السياسي ، فكون اللجنة الوطنية للتعريب في نهاية السنة الماضية التي تشارك في اعمالها كل الوزارات والمؤسسات الوطنية والولايات بالتمثيل وتكوين اللجان ، وانطلقت الدراسة من شهر مايو الماضي معتمدة في ذلك تقارير الوزارات المشتملة على اجابات مضبوطة من طرف الموظفين فرادى ، وكانت هذه العملية بمثابة سبر عام وجرد شامل لكل امكانيات البشرية المعربة في البلاد في مختلف القطاعات الادارية والاقتصادية ، وحصر الصعوبات الموضوعية والمفتعلة التي اعترضت مسيرة التعريب في كل مراحله ، وكان العمل حسب محاور رئيسية اربعة شملت مختلف الوزارات حسب طبيعة اعمالها ، وانتهت اللجنة من هذه المرحلة في اواخر يوليو الماضي لتنطلق في دراسة المرحلة الثانية حسب مهام اربع هي كالاتي : كلف فريق لدراسة موضوع منهجية التعريب بحصر الطرق البيداغوجية وتحديد طرائق استعمال الوسائل السمعية البصرية وايجاد الوسائل المساعدة كالمجلات والافلام وغيرها . وكلف فريق ثان بوضع المنهاج الدراسي للموظفين معتمدا في ذلك على سلالم التوظيف العمومي الرئيسية المحددة لهيئات الموظفين حسب الدرجات العلمية ، ويشتمل هذا المنهاج على مرحلتين ، مرحلة التعريب الاساسي وهو جذع مشترك بين مختلف الموظفين الحاملين لشهادة علمية واحدة في مختلف الوزارات يتلقون خلالها مجموعة من المفردات والمصطلحات المأخوذة من الحياة اليومية للمواطن الجزائري وصيغا وقوالب عربية تمكنهم من اساسيات اللغة تمكينا يقضي على مشكل القراءة والكتابة من خلال نصوص تعد خصيصا لذلك . والمرحلة الثانية هي التعريب الوظيفي الذي يجرد مصطلحات كل وزارة على حدة ثم يتم تحويلها الى نصوص تعليمية يتلقاها الموظف تكملة لمعلوماته السابقة ، بالعربية ، وبذلك يمكن ان يعبر عن كل معارفه بالفرنسية بلغته العربية في العمل والحياة . وكلف فريق ثالث بوضع مشاريع قانونية تكفل تطبيق هذه البرامج تطبيقا صحيحا في مدة زمنية محددة ضمانا للنجاح ورعاية للجهد الذي يبذله الحزب والدولة ومختلف الوزارات ، وكلف فريق رابع بالاعداد الجيد لاستعمال سلاح الاعلام استعمالا علميا ومنطقيا لتجنيد كل الطاقات البشرية تجنيدا كاملا وواعيا حتى تكلل هذه العملية بالنجاح .

وسوف تنطلق المرحلة الثالثة والاخيرة في شهر ديسمبر المقبل بدراسة تقارير الولايات بعد تكوين لجان التعريب بها توازيها عملية ثانية تتمثل في دراسة ميدانية على عينات اجتماعية اعدت لها استبيانات خصيصا لذلك .

ومجمل نتائج هذه الاعمال الدراسية هو المشروع الذي تتقدم به اللجنة للندوة الوطنية للتعريب التي ستعقد في شهر مارس المقبل مبدئيا لتكتمل بها هذه الدراسة اكتمالا بمشاركة المسؤولين وتحويلها بعد ذلك الى اجراءات تطبيقية تحت مراقبة الحزب واشرافه في ظرف زمني محدد تجند له كل الامكانيات البشرية والمادية لانجاح عملية التعريب واحلال العربية محلها الطبيعي في كل نشاطاتنا السياسية والادارية والاجتماعية وغيرها .

* * *

هذه تجربتنا حاولت حصرها بهذه الكلمة المقدمة اليكم بايجابياتها وسلبياتها والصعوبات التي اعترضتنا والتي ما تزال تقف في الطريق وان نجاحنا مهما اعتمدنا فيه على الذات وكلفنا انفسنا المشاق فان مساعدة الدول العربية لنا في هذه القضية عامل ايجابي وحاسم .

صدر حديثا

عذابات احمد بن ماجد

للشاعر البحريني

يعقوب المحرقي

* * *

هنا الوردة .. هنا نرقص

للقصاص البحريني

امين صالح

منشورات دار الآداب ـ بيروت

بالاشتراك مع اسرة الادباء والكتاب في البحرين